

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ
الْقَرْيَةِ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ
عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ
اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾

العبر والدروس من الرسائل السابقة

خطب المناسبات

الدرس السابع عشر: شرح الآيات 109-111

2021-11-20

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على نبينا الأمين، اللهم علّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علّمنا وردنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين وبعد.

الدعوة إلى الله:

مع اللقاء السابع عشر والأخير من لقاءات سورة يوسف، وقد وصلنا في اللقاء الماضي إلى قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ تَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ وَسُبحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (108)

[سورة يوسف]

هذه الآية الكريمة مع قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ
بِالْمُفْتِدِينَ (125)

[سورة النحل]

هما من أهم الآيات في كتاب الله تعالى حول الدعوة إلى الله، فهما يقرران أن الأصل في رسالة الإسلام أنها دعوة، الأصل في الإسلام أنه دعوة، والدعوة تقتضي أن يستجيب الإنسان أو لا يستجيب.

فليس هناك إكراه في الإسلام، وهذا ينفي كل التهم التي يوجهها بعض أعداء الإسلام وبعض أديانهم بأن الإسلام انتشر بحدّ السيف، سواءً قصدوا في ذلك ما يقصدونه من ورائه أو لم يقصدوا، لكن في حقيقة الأمر الإسلام دعوة، قال تعالى: **(ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ).**

(قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي)، أي هذا منهجي، هذه طريقي، قلنا: السبيل هي الطريق، وثُوتت وتذكرت، هنا أثبتت، قل هذه سبيلي.

يوجد آية ثانية:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
سَاءَ صِرْفٌ عَنِ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْعَمَىٰ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (146)

[سورة الأعراف]

جاءت بالمذكّر، فالسبيل: تُذكر وتُوثق لغةً، فيقول لك: قل هذه سبيلي، ما هذه السبيل؟ ادعُ إلى الله، هي سبيل الدعوة، والدعوة تملك أن تقبلها أو أن تردّها، أنا إذا اتصلت بك هاتفياً ودعوتك إلى منزلي فلك أن تقبل دعوتي أو أن ترفض، بالمبدأ لك أن تقول لي: أوافق، ولك أن تقول لي: أعتذر، عندي موعد، فالدعوة تقتضي قبولاً أو رفضاً.

الابتعاد عن الخلط بين أخلاق الدعوة وأخلاق الجهاد:



الجهاد هو القوة التي تحمي الدعوة في أصل منهج الإسلام أن الإسلام دعوة، بعض المسلمين من غير أن يشعروا خلطوا بين أخلاق الدعوة وأخلاق الجهاد، الدعوة لها جهادٌ يحميها، الجهاد هو القوة التي تحمي الدعوة، وليس هو سبيل الدعوة، الجهاد ليس دعوة إلى الله، الجهاد هو القوة التي تحمي الدعوة إلى الله تعالى، لأن كل حق لا بدّ له من قوةٍ تحميه، هذا من بدهيات الحياة، في سورة الحديد:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (25)

[سورة الحديد]

مع الدعوة يوجد حديد، هناك حديد، فلا بد من الدعوة ولا بد من الجهاد الذي يحمي الدعوة، لكن لا نخلط بين أخلاق الجهاد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيُنْسَى الْمَصِيرُ (73)

هذه في أرض المعركة.
وبين أخلاق الدعوة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (108)

[سورة يوسف]

هذه الآية الكريمة مع قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ صَلَّىٰ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ
بِالْمُهْتَدِينَ (125)

[سورة النحل]

بالتي هي أحسن وليس بالحسنى فقط.
فقضية الدعوة واضحة في دين الله، ديننا دعوة إلى الله، تدعوه، إن شاء وافق وإن شاء رفض.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ (256)

[سورة البقرة]

والجهاد جاء ليحمي الدعوة، لأنك إن لم تكن لك قوّة تحمي دعوتك فأعداء الدين سيُسكّلون تلك القوّة ويمنعونك من الدعوة، ومنعهم من الدعوة يكون على ضربين:

الضرب الأول: أن يمنعوك، يقول لك: ممنوع الدخول في الإسلام، إذا بنتت درساً لم يناسب أهواءهم يجربونه مباشرة، منعوك من الدعوة.

وهناك ضرب ثانٍ: يمنعوك من الدعوة حينما ينشرون الفساد في الأرض بشكل كبير بإعلامهم، وجبروتهم، وبطغيانهم، ينشرون الفساد، فأنت تصيح تدعو الشباب إلى الله، فتجد هناك ألف طريق يصرفهم عن الحق، كأنهم بذلك منعوك من الدعوة أيضاً لكن المنع هنا بالقوة الناعمة وليس بالقوة الخشنة.

اللَّهُ

نحن دُعاة إلى الله

فمُحصِّلُ الأمر نحن دُعاة إلى الله، كلنا، نحن لم نأت لثُحارِبِ الناس، بل لكي ندعوهم إلى الله، لكن الدولة الإسلامية مُخَوِّلة، مطلوبٌ منها أن تُشكِّلَ قوَّةً تحمي الدعوة إلى الله عز وجل حتى لا يعبت أحدٌ بيدَي الناس، ولا ينال أحدٌ من دين الله، ولا ينال أحدٌ من رسولنا، ولا من ديننا، ولا من قُوَّتِنَا، يصبح لنا قوَّة، نصيح مرهوبي الجانب. لَمَّا جاء ربعي بن عامر إلى رستم ملك الفُرس قال: (نحن قومٌ ابتغنا الله تعالى لئُخرج من شاء من العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد) لكن لَمَّا دخل عليه بقوة لا يستطيع أن يمنعه ويقول له: لا أسمح لك أن تدخل وتدعو الناس إلى الله عز وجل، معي قوَّة تحميني إن رفضت. هذا هو الجهاد تحديداً، هو القوَّة التي تحمي الحق، وليست القوَّة التي تُجبر الناس على الدخول في الحق، كما قَهَمَهَا البعض خطأً وظُلماً، وعدواناً بقصدٍ أو بغير قصد.

الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن:

إذاً أول ما في هذه الآية: قل هذ سبيلي أدعو إلى الله، سبيلنا هو سبيل الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، لماذا؟ لأن هناك فريقاً من الناس يقبلون الحق لكن لم يصلهم بعد، هؤلاء يحتاجون إلى الحكمة فقط.

لك صديق يُحب الحق، وأهل الحق، لكن لا يعرف الحكم الشرعي، كيف تدعوه إلى الله؟ بالحكمة في القول، في المكان المناسب، في الزمان المناسب، على انفراد، الحكمة. وهناك أشخاص يقبلون الحق لكن يحتاجون إلى ترغيب وترهيب، أي إن أعطيتهم الدعوة من غير وسائل ووعظ، وترغيب بجنة، وترهيب من نار، فإنه لا يستجيب، هذا ليس سهلاً. قال: والموعظة الحسنة، هذا يحتاج إلى موعظة، وأن تكون الموعظة حسنة، والموعظة تعني أن تقول له: إن لم تفعل هناك عقاب من الله، إن فعلت هناك جنة، هذه موعظة، الموعظة الحسنة.

وجادلهم بالتي هي أحسن، هذه للصف الثالث من الناس المعادين للحق، هؤلاء تحتاج أن تدخل معهم في جدال، فهؤلاء لم يقل لك: وجادلهم بالحسنى، بل قال: بالتي هي أحسن، هؤلاء الصف الثالث الذين يعادون الحق، اتبع معهم الأحسن وليس الحسن بل الأحسن، لأنه مُتمسك بفكرته فإن جادلته بسوء ازداد تمسكاً بفكرته السيئة، أما إن جادلته بالأحسن فإنه بعد قليل يلين قلبه للحق، إذاً سبيلنا هو الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن.

الدعوة إلى الله على بصيرة:



البصيرة بصيرة القلب

(قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي) إما أن نقف: قل هذه سبيلي أدعو إلى الله، ثم نقرأ على بصيرة أنا ومن اتبعني، أو قُلْ: قل هذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي، كل واحدة تعطي معنى.

البصيرة غير البصر، البصر للمحسوسات، أبصرْتُ الشيء رأيتُه بعيني محسوساً مُشَاهِداً.

البصيرة بصيرة القلب، فهنا على بصيرة للمعنويات وليس للمحسوسات، البصيرة هي ذلك النور التي يقذفه الله تعالى في قلبك من خلال صِلَتِكَ بالله، هي الدليل الذي تعطيه للإنسان فتُثَبِّتُه بالحق، هي التعليل الذي تُعلِّله له، أي إن سألت مثلاً: لماذا تدفع زكاة أموالنا؟ قل له: هذا حق الفقير.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (103)

[سورة التوبة]

الصدقة تُطَهِّرُ نفسك من الشُّحِّ، تُطَهِّرُ نفس الفقير من الحقد، الصدقة تُطَهِّرُ مالك من تعلُّقِ حق الآخرين به، وهكذا، تُزَكِّيكَ، تنمو بمالك، تُعطيكَ المضاعفة من الله، تُعَلِّلُ له، هذه بصيرة، ولا تناوله الأمر هكذا، خذ أمراً واكتف من غير دليل، من غير تعليل، من غير نور من الله، من غير دعوة حسنة، هذه البصيرة، على بصيرة. (أنا ومن اتبعني) إذاً كل من يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ينبغي أن يدعو إلى الله على بصيرة، في حدود ما يعلم ومع من يعرف، وليس الدعوة التفصيلية.

الله تعالى لا مثيل في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله:

(وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا آتَا مِنَ الْمُسْرِكِينَ) سبحان الله أي أنزَّهه، أنزَّهه في ذاته وصفاته وأفعاله، فليس هناك إلا الله، ولا شريك له في ذاته، وفي صفاته فهو جلَّ جلاله الحي الدائم الباقي، الذي لا يشبهه شيء في صفاته، فأنت سميع وهو جلَّ جلاله سميع، ولكن أين سَمِعُكَ من سمعه؟ ليس كمثله شيء سبحان الله! وفي أفعاله فأنت تفعل، والله تعالى فَعَّالٌ لما يُريد، ولكن أين فعله من فعلك؟! أنت تفعل بقوته، وتفعل بأمره، وتفعل بإذنه، وهو جلَّ جلاله فَعَّالٌ لما يريد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (16)

[سورة البروج]

فسبحان الله أي لا مثيل في ذاته ولا صفاته ولا أفعاله. (وَمَا آتَا مِنَ الْمُسْرِكِينَ) هذا التوحيد، وما تعلَّمت العبيد أفضل من التوحيد.

الرجولة ليست هي الذكورة فقط وإنما هي القوة أيضاً:

الآن نتقل إلى الآية (109) من السورة بقوله:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَفَلَا تَعْقِلُونَ (109)

[سورة يوسف]



النبى لا يكون أنثى

الآن رجَّع إلى الرسائل السماوية السابقة، يُخاطب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، كل من أُرْسِلَ من قبلك كانوا رجالاً، استدلَّ بعض أهل العلم بهذه الآية على أن النبي لا يكون أنثى، النبي لا يكون أنثى، أو الرسول لا يكون أنثى عموماً، وليس ذلك انتقاصاً من شأن الأنثى وإنما لِمَا يناسب جِئاءها، فالنبي يقوم بمهمَّات لا تستطيع الأنثى القيام بها، يواجه عناد قومه، بهاجر، يتحدَّاهم بالمعجزة، يدخل في صفوف المعركة فائداً وفائد جيش أحياناً، فالنبي له مهمَّات؛ وتلك المهمَّات لا تناسب المرأة التي وهبها الله عز وجل من الإمكانيات التي تناسب مهمَّتها التي ينبغي أن تقوم بها، إلا رجلاً، لكن هنا إلا رجلاً هنا كلمة رجال ليس المقصود بها هنا الذكورة، صحيح النبي لا يكون إلا رجلاً - وهذا مُجمَع عليه - لم يأت نبي أنثى ولا رسول أنثى، لِمَا يكتنف مهمَّة الرسالة والنبوة من بعض الأشياء التي لا تستطيعها الأنثى.

نعم البعض قال: ممكن أن تكون مريم نبياً، لكن لم تُكَلَّف برسالة، أي لا يوجد عندها أعباء الرسالة، والبعض قال: هي امرأةٌ سالحة وليست نبيةً، والله أعلم. لكن الرسول لم يأت أثنى، الرسول مطلوب منه أن يُبلِّغ، ويتحدى قومه، ويناقشهم، ويجادلهم، لا يوجد، لكن هنا رجالاً ليس معناها الذكورة فقط، وإنما معناها القوة. سيدنا سعد كان يقول: " ثلاثة أنا فيهنّ رجل - لا يقصد أنا فيهنّ ذكر - أنا فيهنّ رجل أي أنا بطل، وفيما سوى ذلك فأنا واحدٌ من الناس، قال: ما سَمِعْتُ حديثاً من رسول الله إلا عَلِمْتُ أنه حقٌّ من الله تعالى، وما ضَلَّيت صلاةً فَشَقَلْتُ نفسي بغيرها حتى أَقَصَّيْهَا، وما بَيَّرْتُ في جنازة فَحَدَّثْتُ نفسي بحديثٍ غير حديثها حتى أَفْرَعُ من دفنها ". يعتبر نفسه رجلاً في هذه المواقف. فالرجل ليس ذكراً وإنما القوة، زاده بسطةً في العلم والجسم، فالرجولة ليست هي الذكورة.

النبى الكريم بشر تجري عليه كل خصائص البشر:



الأنبياء رسل ليسوا ملائكة

{**الْأَرْجَالُ نُوحِي إِلَيْهِمْ**} أي هو ليس ملكاً أيضاً، هو ليس ملكاً، الأنبياء رسل ليسوا ملائكة، من بني البشر، لأنهم لو كانوا ملائكة لَمَا قامت بهم الحُجَّة، ولقال قائلٌ من الناس: هؤلاء ملائكة يسرون على الأرض وما عندهم شهوات فلذلك لا يعصون الله ما أَمَرَهُمْ، لكن النبي صلى الله عليه وسلم يقول:

{ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، أَرْضَى كَمَا يَرْضَى الْبَشَرُ، وَأَعْصِبُ كَمَا يَعْصِبُ الْبَشَرُ }

[متفق عليه]

فانتصر على بَشَرِيَّتِهِ فكان سيد البشر، فهنا أيضاً إلا رجلاً تشير إلى أنهم ليسوا ملائكة وإنما من صنف البشر، لكن ما مَرَّبْتَهُمْ؟ قال: نوحى إليهم. المَرَبَّةُ هي الوحي، لذلك لا تلتفتوا إلى من يحاول اليوم بسوء يَبِّه أن يُظْهَر نبينا صلى الله عليه وسلم على أنه عبقريٌّ أو مصلحٌ كبير أو قائدٌ فدّ، نعم، هو عبقريٌّ و مصلحٌ وقائدٌ فدّ لكن هو رسول الله قبل كل شيء، إن أردت أن تضيف بعد رسول الله ما شئت من صفات الكمال لرسول الله فافعل، لكن أن تتناسى أنه رسول الله، وأن يكون القصد عند بعض الناس بعبقري وفذ وقائد أن ينفي عنه الرسالة، وأن يصيح واحداً كالمُصلحين في هذا العالم، لا، الأصل أنه رسولٌ نُوحى إليه، فما جاءنا عن طريقه تشريع نأخذه دون نقاش، أما ما جاءنا عن المُصلحين والعباقرة فيُصيب ويُخطئ لأنه من عنده، أما ما جاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو وحيٌّ من الله.

الحكمة من أنّ الأنبياء كانوا يأتون في القرى وليس في البوادي:

إذاً: {**نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى**} هؤلاء الرجال من أهل القرى، القرية في مصطلحنا اليوم هي حسب التَّجْمَع السكاني إذا كان عدد البشر أقل من عدد معين محدد في القوانين تسمى قرية، إذا زاد عدد السكان تسمى مدينة، في القرآن تقريباً المدينة والقرية مع اختلاف الاستخدامات يُطلقان على المدينة، أي على التجمع البشري الذي هو ليس من أهل البادية، لأن أهل مكة أم القرى، ومكة ليست قرية، مكة كانت أم القرى مدينة، لكن في القرآن الكريم القرية هي في مقابل البادية أهل البدو، أهل البدو عندهم بعض الشيثة والفظاطة أحياناً في التعامل، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَبَغَافًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (97)

[سورة التوبة]

أهل البوادي لأنهم بعيدون عن الحق فجفاء البادية أصابهم بالجفاء. أهل المدن أكثر قبولاً لدعوة الأنبياء، لذلك الأنبياء كانوا يأتون في القرى، فقال: من أهل القرى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَقْلَمٌ يَسِيرُونَ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَقْلًا تَعْقِلُونَ (109)

[سورة يوسف]

آيات الله في الكون والقرآن والأفعال:

ربنا جلّ جلاله له آيات في الكون، وله آيات في القرآن، وله آيات في الأفعال.
في الكون: شجرة تدلك على وجود الله، في القرآن هذه الآيات التي نقرأها فتتعلّم منها و تستدلّ منها على الله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ 1 اللَّهُ الصَّمَدُ 2 لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ 3 وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4)

[سورة الإخلاص]

نتعرف على الله من خلالها.
في الأفعال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (6)

[سورة الفجر]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (1)

[سورة الفيل]

هذه تشير إلى آيات الأفعال.

دعوة الله عز وجل البشر إلى أن يسيروا في الأرض ويتعظوا بغيرهم:



الأرض لها غلاف جوي يتحرك معها

(أَقْلَمُ تَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ) بعض العلماء استدلوا من قوله تعالى في الأرض على ناحية علمية لم تكن معروفة عند نزول اللوح، وهي أن الإنسان عندما يسير على الأرض إنما هو يسير فيها، لأن الأرض لها غلاف جوي وهو يتحرك معها، والمَلْحَقُ بالشئ تابع له، فأنت تسير بين غلاف الأرض والأرض وكله يتحرك فكانت تسير فيها لا عليها، هذا استنباط بعض العلماء، أما باللغة أيضاً فصحيح أن تقول: يسير عليها ويسير فيها بمعنى أنه داخل فيها، وكأنه أصبح جزءاً منها، فيتعظ بما يشاهد، بدل على، على للاستعلاء، في اللطرية، كأنك داخل الشئ، على: فوق الشئ، لذلك ربنا عز وجل في القرآن قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (5)

[سورة البقرة]

والمشركون:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَقَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ قَوْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ فَلُوْهُهُمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي صَلَاحٍ مُّبِينٍ (22)

[سورة الزمر]

فألهدى رقعتهم فأصبحوا على الهدى، والضلال غمستهم فأصبحوا فيه، غاصوا فيه. (على، في).

(أَقْلَمُ تَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا) إذا يدعوننا ربنا عز وجل هنا إلى أن نسير في الأرض فننظر، هذه دعوة من الله، يُعَاتِبُ من لم يسر في الأرض فينظر.

انظر إلى الأمم السابقة، انظر أين أصبحت مَآد، وأين ثمود، وأبن فرعون، إذا ذهبت إلى مصر أو شاهدت الأهرامات، هنا كان يعيش طغاة الأرض، ويسومون الناس سوء العذاب، ويُذَبِّحُونَ أبناءهم، ويستحيون نساءهم، هنا انفقَت الأموال والجهود من أجل بناء تلك الأهرامات الضخمة واستعبدوا الناس.

انزل إل البحر الميت هنا فيما تكثر الأقوال كان مصرع قوم لوط الذين كانوا يأتون الفاحشة والعياذ بالله، تلك مساكنهم لم تُسَكَّنْ من بعدهم، فالإنسان ينظر ويتعظ أمّا أن ينظر ولا يتعظ فكانه ما نظر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (198)

[سورة الأعراف]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ
الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَفَلَا تَعْقِلُونَ (109)

[سورة يوسف]

هنا يوجد أسلوب لغوي يسميه العلماء: الاحتياك، قد حدّثتكم عنه سابقاً.
الاحتياك: أن تذكر جزءاً من هنا وجزءاً من هنا وثبقي للعقل البشري أن يكمل الأجزاء الناقصة في الحديث، أوضح مثال على ذلك قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئْتَيْنِ الْأَتَقَاتِ فَمِنَ الْأَتَقَاتِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَخْرَجَ كَافِرَةٌ تَرَوْنَهُمْ مِنْتَلْبِهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ (13)

[سورة آل عمران]

(فِيئَةُ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَخْرَجَ كَافِرَةٌ) إذاً التي تقاتل في سبيل الله مؤمنة، والكافرة تُقاتل في سبيل الشيطان، فما قال: فمِنَ الْأَتَقَاتِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وفِيئَةُ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ، وما قال: فمِنَ الْمُؤْمِنَةِ وفِيئَةُ كَافِرَةٌ، جاء وصف المؤمنين في الأول وقال الكافرة في الثاني، فعلم أن الأولى مؤمنة وعلم أن الثانية تُقاتل في سبيل الشيطان، هذا الاحتياك، أسلوب لغوي، فهنا لما قال تعالى: **(كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ)** هذه في الدنيا، ماذا لهم في الآخرة؟ لهم عذابٌ شديد أليم، هذا الجزء من العذاب في الدنيا فقط، لكن سيأتي العذاب يوم القيامة وفي المقابل: **(وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَفَلَا تَعْقِلُونَ)** فلما ذكر أن دار الآخرة هي خيرٌ للمتقين علم أن دار الآخرة بالنسبة لهؤلاء هي شرٌ للكافرين.

استنارة عملية العقل بنور الوحي:

(وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَفَلَا تَعْقِلُونَ) قلنا سابقاً: العقل هو الفهم، الإدراك، ليس في جسم الإنسان عضو يسمى عقلاً، العقل عملية تتم في القلب، البعض يقول: في الدماغ لكن حقيقة هي عملية تتم في القلب لأن الله تعالى قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَفَلَا تَعْقِلُونَ (46)

[سورة الحج]



العقل عملية تتم في القلب

فالعقل عملية تتم في القلب، ولعله ذاك القلب الذي هو المصحّة التي تصخ الدم إلى الجسم لأنه اكتشفت حديثاً أن هذه المصحّة فيها ذاكرة، وكل خلية فيها ذاكرة بعد أن أجروا عمليات نقل القلب من إنسان إلى آخر تبين أن هناك أشياء تنتقل مع القلب، فلا ينتقل وحده، فكانه مركز للعقل.

أو قلب النفس كما كان يقال سابقاً أي القلب قلبُ الجوزة داخلها، وقلب النفس داخلك أنت، أنت الذي تُحب وتكره هذا جسد، الذي نراه الآن هو صورتك، أنا الآن لا أعلم ماذا يدور في داخلك، أنا أرى صورتك فقط، هذا جسد، أما القلب فهو الداخل، فإما أن القلب هو المصنَّع.

{ إِذَا صَلَّحْتَ صَلَّحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ }

[متفق عليه]

أو قلب النفس.

على كل بالنتيجة العقل هو عملية تتم في القلب، في قلب الإنسان، فيتعقل الأشياء أي أنه يُدرِكها، العمليات تتم في القلب عن طريق العقل، الفهم. عندنا (input) و (output) باللغة الحديثة في الدورات يقولون: (input)، (output). Input: المُدخَلات، سمعك وبصرك:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (23)

[سورة الملك]

تُدخِل المعلومات من خلال السمع، تسمع معلومة أو ترى شيئاً من آيات الله فُتدخِلُه إلى قلبك، في القلب تتم عملية العقل، أي الإدراك، فهم المعلومة، فُتنتج (output) مُخرجات. رأيت شجرة تأقلمت بها، هذا (input)، عقلتها بشكل صحيح قلت: سبحان الخالق العظيم ! هذه (output).



العقل هو عملية إدراك المُدخَلات وإخراجها

فالعقل هو عملية إدراك المُدخَلات وإخراجها، بُراد اليوم للأسف الشديد من بعض الأدياء، من بعض الناس بحسن نية أحياناً وبسوء نية أحياناً أخرى كثيرة أن يُجعل العقل قسيماً للنقل، لوجي السماء، و كأن العقل شيء مستقل، يقول لك أحدهم: قال لي عقلي، ما شاء لله وما هذا عقلك ! أنا لم أفهم، وأنا قال لي عقلي بالعكس، أنت قال لك عقلك: لا يجوز، أنا قال لي عقلي: يجوز. كيف نتفق أنا وأنت إن لم يكن هناك مصدر ووجي السماء؟ ففضية قال لي عقلي، لا يوجد شيء اسمه: قال لي عقلي، أنت عندك مُدخَلات من الخارج تعقلها وتُخرجها مُخرجات.

العقل إن تمّ، أي عملية الفهم إن تمّت وفق منهج الله عز وجل المُخرجات صحيحة، إن تمّت دون وجي السماء المُخرجات خاطئة، لأن عملية العقل إن لم تستنر بنور الوحي فممكّن أن ينتج مع الإنسان أشياء تخجل من ذكرها.

في فرنسا إباحة الزنى بالتراضي، معروفة منذ زمن بعيد، الآن حَفَضوا السن الذي يُباح به الزنى أصبح خمس عشرة سنة، إن قامت فتاة بالتراضي مع صاحبها بالزنى، بالفاحشة بالتراضي فليس له أي مشكلة في العقل الفرنسي، أبداً، لا يوجد مشكلة، لكن العقل الفرنسي يحارب زواج القاصرات، الزواج ممنوع، الزنى مسموح، كيف؟ عقل.

هكذا عقلوا المعلومة.

بعيداً عن وجي السماء أشياء مضحكة، أشياء مضحكة فعلاً، لأنه لا يوجد مصدر، عندما لا يكون هناك مصدر للتلقّي، ونعتمد كلمة العقل هي المصدر، أرنبي عقلك ماذا يقول لك، كل واحد عقله سيقول له شيئاً مختلفاً عن الآخر.

الآن ألغوه، هو لا يُلغى، معاذ الله أن يُلغى، لكن للحظة معينة ألغوا المصدر التشريعي الذي هو الوحي، ألغوه، ودعنا نطرح قضية للنقاش بعقولنا، من غير أي نص، إذا نحن كنا عشرين شخصاً كل واحد برأي إلى من تحكّم؟

هذه مشكلة من يسمون أنفسهم اليوم العقلانيين أو المدرسة العقلية في الدين، مشكلة بدأت منذ المُؤتلفة، إلى مُعتزلة اليوم لكن بشكل صارخ جداً، وبشكل أنهم يضعونها على الإعلام، وفي إلبس بوك، وفي كل مكان، يا أخي اليوم نحن في عصر العلم، عصر العقل، نريد أن نُفكر بشكل جيد، فكر ما شئت في الدنيا، وأنتج ما شئت، لكن أن تعقل المعلومة بعيداً عن وجي السماء فالنتائج مضحكة: (أفلا تعقلون).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَرَ الرُّسُلُ وَوَلَّوْا أَنفُسَهُمْ قَدْ كَذَّبُوا جَاءَهُمْ تَصْرُوتًا فَتَاجَىٰ مِنْ تَشَاءُ وَلَا يُرِئُهُم بِأُسْرَتِنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (110)

[سورة يوسف]

يوجد يُأس ويوجد استئس.
بئس: قَتَطَ، قَتَدَ الأمل، اليأس فقدان الأمل، هذا الشاعر الذي قال:
بدلاً من متفاعل، قال: متفائل، فهذا تفاعل، لكن ربما يكون أبه نوعاً ما.
وأحياناً هناك يأس فيه قنوط من رحمة الله، هذا يكاد يكون كفرًا، لَمَّا قال لهم في هذه السورة نفسها:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيَاسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْكَافِرُونَ (87)

[سورة يوسف]

فاليأس فقدان الأمل.
استيأس: كأنه طلب اليأس، من شدة ما أحاط به من خطوب، مثل استسقى طلب السقيا، استطعم طلب الطعام، هذا استيأس، أي يكاد يطلب اليأس من شدة ما أصابه.
الأنبياء، الرسل يئسون؟ بنص الآية استيأس الرسل، (حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَرَ) حتى كان قبلها شيء، أي هم لما قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْغُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَفَلَا تَعْقِلُونَ (109)

[سورة يوسف]

إذا جاؤوا للدعوة إلى الله عز وجل فدعوا قومهم فتأخروا النصر، وتأخرت الإجابة، فوصلوا إلى مرحلة استيأسوا فيها، هذا الربط بين الآيتين.



المؤمن لا يئس من رحمة الله
فلما استئسوا، (وَوَلَّوْا أَنفُسَهُمْ قَدْ كَذَّبُوا جَاءَهُمْ تَصْرُوتًا) هم لم يستئسوا من رحمة الله، معاذ الله لئبي، المؤمن لا يفعلها ويئس من رحمة الله، (إِنَّهُ لَا يَيَاسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْكَافِرُونَ) لكن هم استئسوا من أن يستجيب لهم أحد، أي يئسوا من الناس وليس من رب الناس.

قال لك: أنا والله هذا الطالب جلست معه لمدة عشرين درساً إلى الآن أقول له: كتب الطالب، يُعرب كُتِبَ: مبتدأ، يَنْسُتُ منه، هذا لن يفهم العربية، لا يعرف الفعل من الاسم، فهو لم يبنس من رحمة الله، يقول لك: ربما من الله كل شيء جازز لكن أنا هذا لا أظن إن سيهتدي، هذا استنباس من الناس وليس من رب الناس، والدليل: (وَطَلُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا) أي تَبَيَّنُوا، هنا الظن بمعنى اليقين، لكن عندما لم يكن يقيناً منه بالمنة قال: وطلُّوا، أي (قَدْ كَذَّبُوا)، وهناك قراءة: قد كَذَّبُوا، كَذَّبَهُمْ قومهم، كَذَّبُوا وقرنت كَذَّبُوا، قراءة حفص كَذَّبُوا، (وَطَلُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا) أي كَذَّبَهُمْ قومهم تكذيباً شديداً، وبالغوا في تكذيبهم، قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَوَدَّوْا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (110)

[سورة يوسف]

وهذا يشير إلى أن أشد ساعات الظلمة هي قبيل طلوع الفجر، فكلما وجدت الحياة قد أظلمت فتيقن أن الفرح اقترب، لكن اقترب في العمر الزمني ليس هناك قرب بمعنى القريب الذي نريده نحن أي غداً، لا، لأن العمر الزمني أكبر من حياتي وحياتك لكن هو قريب إن شاء الله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (6) وَتَرَاهُ قَرِيبًا (7)

[سورة المعارج]

(وَطَلُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا) قال: (جَاءَهُمْ نَصْرُنَا) في اللحظة الحاسمة التي وصلوا بها إلى أنه لن يهتدي أحد، ولن يكون هناك نصر، والوضع سيء ومستعص جداً أتى النصر من الله عز وجل، قال: (فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ) فنجى الله عز وجل من يشاء بعد أن يأتي العقاب والعذاب للكافرين (فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا) أي قُوَّتُنَا وجبروتنا: (عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ)، المُجْرِم هو الذي ارتكب الإجمام، أجم بحق نفسه حينما حرّمها الهدى، وأجم بحق الآخرين لأنه لمّا منع نفسه عن الهدى استحلّ الخُرّمات، واعتصب الأملاك، وربما سفك الدماء.

(وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ) إذا لا يوجد شيء اسمه: البلاء يُعَمُّ، إلا بحالات خاصة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُنَّ الَّذِينَ تَلَمَّوْا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (25)

[سورة الأنفال]

الأصل أن الله عز وجل يُعامل كل إنسان بعمله (فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ).
نوح عليه السلام، لأتركب في السفينة إلا من آمن، نجاهم ربنا عز وجل بمعجزة، بهذه السفينة، ثم غلّت الأمواج على القوم المجرمين.

العبرة من القصص هي فهم مدلولاتها:

الآية الأخيرة في سورة يوسف:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (111)

[سورة يوسف]

(لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ) هذه القصة وغيرها من قصص القرآن، أي ليس هذه القصة فقط، في قصصهم، قصة يوسف، قصة مريم عليها السلام، قصة صاحب الجنتين، وقصة، وقصة، إلى آخره، (لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ) كان هنا ليست بمعنى أنه كان، الآن لم يعد في قصصهم عبرة، وإنما بمعنى لقد كان بمعنى لقد وُجِدَت العبرة في قصصهم، كقوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا (148)

[سورة النساء]

(لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ) القصة كما أسلفنا، من قص الأثر إذا تتبَّعُه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّبِي قَبَضْتُ يَدَ عَنِّ جُنُبٍ وَهَمْ لَا يَشْعُرُونَ (11)

[سورة القصص]



القصة تتبَّع الأثر

(وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّبِي) تتبَّع أثره، فالقصة تتبَّع الأثر، وفي القصة نحن نتبَّع آثار الشخصيات، ما الذي حصل مع يوسف بعد ذلك؟ ما الذي حصل مع إخوته؟ ما الذي حصل مع أبيه بعد أن ألقى القميص على وجهه فارتدَّ بصيراً؟ جاؤوا إلى مصر، ذهبوا إلى كنعان، هذا تتبَّع، فنحن نقصُّ آثار القوم في القصة، فسُمِّيت قصة.

(لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ) العبرة، أسلفنا لَمَّا تحدَّثنا عن الرؤيا، للرؤيا تعبرون، العُبر: عِبْرٌ: هو الانتقال من مكان إلى مكان، فأنت تعبر الشارع، تقطَّعه من هذا الرصيف إلى ذاك الرصيف، تعبَّره.

و العبرة: عِبْرَة العين، تنقل ما في داخلك إلى الآخرين، أنت حزين لكنك مُتماسك، لكن وصلت إلى حد من الحزن ففاضت عِبْرَةٌ من عينك ففهم الناس أنك حزين، فسُمِّيت عِبْرَة، عِبْرَة العين.

العبرة: التي تسير في البحر، تسمى عِبْرَة لأنها تعبر بالناس أيضاً.

تعبير الرُّوى: لأن الرؤيا تكون رموراً، فلَمَّا يُعبَّرُها يُعبَّرُ بها من واقعٍ خفيٍّ إلى واقعٍ جليٍّ، يُعبَّرُها، انظروا إلى دقة اللغة.

العبرة في القصة: أنك تنتقل من القصة تُعبَّرُ من القصة إلى ما وراء القصة فتفهم مدلولها، فتأخذ منها العبرة، كله من عِبْرٍ تُعبَّرُ، لا ينبغي أن تقف عند القصة، يجب أن تُعبَّرُ من الأشخاص الذين فيها إلى العِبْر المستفادة منها، فتقرأ كيف كان يوسف عليه السلام عفيفاً فتعتبر بأن العفة هي خُلُق الشباب المسلم، فتتَّعَف عن الحرام، وتنتظر كيف أن الله غالبٌ على أمره فتعتبر بأن الله عز وجل سينصر دينه مهما تكالبت عليه الخُطوب.

وكان بعض الصالحين يقول: سورة يوسف ما قرأها محزونٌ إلا أذهب الله غمَّه.

قصة سيدنا يوسف عبرة لأصحاب القلوب السليمة وليست حديثاً يفترى:

تسمعتُ من بعض الأخوة العراقيين أنهم في العراق عند الوفاة يقرؤون سورة يوسف، ليس على أنها سُنة، ليست سُنة قراءة سورة يوسف عند الوفاة، لكن لأنهم يشعرون بأنها تُسَرِّي عن قلوبهم الهمَّ، لأن كل من في قصة يوسف عليه السلام كشف الله همَّه، وفرَّج كربَه، فالله تعالى قادرٌ على أن يُفَرِّجَ كَرْبَكَ، ويكشف همَّك.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ
الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (21)

[سورة يوسف]

(لَعَدَّ كَانَ فِي فَصِيحِهِمْ عَيْزُهُ لِأُولِي الْأَلْبَابِ) الألباب: اللَّب: هو داخل الشيء، لُبُّه، ويوجد القشور، لكن الذي عنده لُب، أي داخل، ما معنى عنده لُب؟ كل الناس عندها لُب، لكن عنده لُبٌ سليم، قلبٌ سليم.

(لأُولِي الْأَلْبَابِ) لأولي القلوب السليمة، تماماً؟ هؤلاء أولو الألباب.

(مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى) ما يقضه الله عليك في القرآن الكريم ليس حديثاً يُفْتَرَى، يُخْتَلَقُ، لا أصل له، ليس قصةً للتسلية، كما يقرأ الإنسان أحياناً قصة فيتسلى بها قبل أن ينام، وليس قصةً للإمتاع الأدبي كما يقرأ إنسان مهتم بالأدب بوصف رائع ووصف الشخصيات فُيْمَعُ أديباً، لا، ليس كذلك.

(مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى) ليس روايةً تُوطَّفُ لخدمة الطغاة، أحياناً تُكتب روايات من أجل مدح الطغاة، وتعزيز دورهم، أي رواية بنكهة سياسية، **(مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى)** أي الأحداث حقيقية.

القرآن الكريم وما جاء قبله:



القرآن هو الخاتم والمُهِمَن والمُصَدِّق لما جاء قبله

الأحداث حقيقية مئة بالمئة، ولكن تصديقها، أي كان هذا الذي رويناه لك، الذي قلناه لك كان تصديق الذي بين يديه، بين يديه أي الكتب السابقة، أنت عندما تسير في موكب أمامك أشخاص، وخلفك أشخاص، الذين سيقوك هم بين يديك، والذين هم وراءك خلفك، فالذي سبقك بين يديك، فلما يقول: **(وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ)** ليس بين يديه خلفه، بل أمامه، أي الذي سبقه من الكتب السماوية، فهناك التوراة والإنجيل والرَّبُّور فهو الخاتم والمُهِمَن والمُصَدِّق لما جاء قبله، وقد ورد عن سيدنا ابن عباس، أعتقد قوماً من اليهود سمعوا لَمَّا أنزلت سورة يوسف فأسلموا لأنهم وجدوها كما في كتبهم، وورد في بعض أسباب النزول أن سبب نُزُولِ سورة يوسف أنهم سألوا النبي صلى الله عليه وسلم أن يقصَّ عليهم سورة يوسف، فجاءت كما في كتبهم: **(وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ)** ما سبقه من الكتب، جاء مُصَدِّقًا وبأحسن ما يكون.

(وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ) تفصيل أي مُفَصَّل، يأتي على المقاس تماماً.

أنت أحياناً تقول: والله أنا ذهبت إلى أكثر من محل لأشتري بدلة، لكن لم أجد شيئاً يناسبني، فقيل لي إن هناك خياطاً يُفَصِّلُها تفصيلاً فتأتي على المقاس، فذهبت إليه لصنع بدلة مُفَصَّلَة تفصيلاً وليست جاهزة.

(وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ) مما سبقهم من كتب **(وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ)** كل شيء في القصة، هنا كل شيء، أي إذا جاء إنسان وقال لك: أليس القرآن تفصيلاً لكل شيء؟ تقول له: نعم.

سأل أحدهم عالماً: في القرآن تفصيل كل شيء؟ قال: نعم، قال: كم في هذا الكيس من قمح؟ كم كيل في القمح؟ يريد كيلاً، الكيل غير موجود في القرآن الكريم، فقال له: نعم في القرآن.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (43)

[سورة النحل]



في القرآن تفصيل كل شيء

فهناك أشياء ذكرها القرآن في الأمور التي لم أذكرها، أسأل أهل الذكر، فهذه ليست في القرآن، هذه تحتاج إلى شخص يكيل القمح ويعلم القمح كم كيلاً؟ فكلمة كل شيء لا تعني كل شيء بمعنى أن كل إنسان يحتاج إلى علم بالفيزياء والكيمياء ويرجع إلى القرآن ويجده، لأن هناك بعض الناس اليوم يفهمون ذلك، يبدؤون يبحثون عن الطاقة الكهروضوئية في القرآن الكريم ويلوون عنق النصوص.

(تفصيل كل شيء) بمعنى أن كل الأمور التي تناسب الهدى للناس قَصَّهَا اللهُ تَعَالَى، وجاءت على القياس المناسب على الجميع، وليس معنى ذلك أن كل شيء يعني كل شيء في الحياة، لا، القرآن منذ اللحظة الأولى قال لك:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (2)

[سورة البقرة]

ففي ناحية الهدى لن تجد في القرآن ما ينقصك أبداً، بالهدى، لأن هدفه الهدى، ففي قضية الهدى هو مفضلٌ فيه كل شيء، ما ترك شيئاً، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم:

{ ما تركت شيئاً يقربكم إلى الله إلا وأمرتكم به، وما تركت شيئاً يبعدكم عن الله إلا وقد نهيتكم عنه }

[رواه الطبراني]

كل شيء، لكن عندما تتحدثون له عن تأبير النخل يقول:

{ أنتم أعلم بأمور دينكم }

[صحيح مسلم]

اذهبوا إلى الخير، فاسألوا أهل الذكر، كل فن له أهل ذكر يعرفون به، هذا أمر دينوي لا علاقة له بالهداية.

القرآن الكريم هدى ورحمة:

(وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) أي القرآن هدى، والقرآن رحمة، لقوم يؤمنون.

الهدى والرحمة شيان: الهدى وقاية والرحمة علاج، أنت إن سرت على هدى القرآن الكريم فأنت في وقاية من أن يصيبك مكروه، فإن وقعت في مكروه بسبب معصية الله تعالى فالقرآن يُعَالِجُكَ فِيهِ الرَّحْمَةُ، يرحمك، لا يقضي عليك بمجرد معصية عصيتها، فهو هدى يفيك من الوقوع في المهالك، ورحمة إن زلت قدمك ووقعت في مهلكة ما يرحمك الله تعالى، لكن لقوم يؤمنون، أما لقوم يكفرون فلن يجدوا في القرآن هدى ولا رحمة.

الإيمان هو البداية والنهاية:

هنا السؤال المهم الإنسان يقرأ القرآن سيؤمن أم يؤمن فيقرأ القرآن فينتفع؟ لا، يؤمن فيقرأ القرآن فينتفع.

ستستغربون، هو يؤمن إيماناً مبدئياً فيقرأ القرآن فيه هدى ورحمة فيزداد إيمانه ويرتقي عند الله، فالإيمان أولاً وأخيراً، والدليل في صحيح البخاري، كانت السيدة عائشة رضي الله عنها تقول:

{ أوتينا الإيمان قبل القرآن }

ما معنى أوتينا الإيمان قبل القرآن؟ أي نحن عندما نظرنا في الكون، تأملنا في عظمة خلق الله، أصبح عندنا مفردات إيمانية بأن هناك إلهاً لهذا الكون، هناك إله عظيم، فلما قرأنا القرآن وجدنا فيه الغذاء لروحنا وفطرتنا، لأن الإيمان مركز في الفطرة، قبل القرآن الإيمان مركز في الفطرة، الإيمان أولاً والإيمان أخراً، هو البداية والنهاية، طبعاً أنت في الإيمان الفطري تُقيل على القرآن فنتفع به، لكن لا يكفي الإيمان الفطري، تحتاج بعدها إلى بناء الإيمان وفق القواعد الشرعية، ووفق افعال ولا تفعل، لكن عندك إيمان مبدئي، لذلك قال: لقوم يؤمنون، أي بدأت عندهم رغبة وبدا عندهم إيمان فطري واضح، فكان القرآن هداية لهم، بدليل أن كثيراً من الناس يقرؤون القرآن فلا ينتفعون به، لأنه في الأصل لم يتوجه لقراءة القرآن بدافع الهداية، وإنما ربما بدافع اللغة، أو بدافع التبرك أحياناً، التبرك أقصد به بمجرد التبرك، القرآن يتبرك الإنسان به لكن تبرُّك فقط من غير انتفاع، فلا يجد فيه بُغيته، فلذلك قال تعالى: **(وَتَقْمِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)**.

والحمد لله رب العالمين